

عُمان وعصر النبوة

الدكتور محسن حسن يونس*

(تاريخ الإيداع 15 / 12 / 2009. قبل للنشر في 2 / 5 / 2010)

□ ملخص □

عُمان قطر عربي يقع في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، وهو يتمتع بموقع استراتيجي مهم، سواء كان ذلك من الناحية الجغرافية أم الاقتصادية أم السياسية ، وقد شغلت عمان دوراً حضارياً متصل الحلقات منذ الألف الرابع قبل الميلاد حتى ظهور الدعوة الإسلامية بالحجاز وكان أهل هذه البلاد سباقين إلى اعتناق الإسلام بالرغم من المسافات التي كانت تفصلهم عن مكة المكرمة/ مركز انطلاق الدعوة. وقد لبوا نداء النبي محمد صلي الله عليه وسلم، فاعتنقوا الإسلام، وأسهموا بفاعلية في بناء الدولة الإسلامية الأولى . وفي هذه المقالة سنحاول إلقاء الضوء على الدور الذي أداه العُمانيون في هذه الفترة التاريخية من قيام الدولة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: عمان، موقع استراتيجي ، ظهور الإسلام، الدين الحنيف.

* أستاذ - قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة تشرين - اللاذقية - سورية.

Oman and Prophecy Age

Dr. Mohsen Hasan Younes*

(Received 15 / 12 / 2009. Accepted 2 / 5 / 2010)

□ ABSTRACT □

Oman is an Arab country located in the eastern south of the Arabian Peninsula. It is endowed with a strategically important geographic, economic and political location. Oman has maintained a continuous cultural role from 4000 B.C. until the dawn of Islam in Hedjaz.

The Omanis were forerunners in embracing the new emergent religion despite the huge distance separating them from Mecca, the centre of Islam. They answered the call of the prophet (p.b.u.h) in embracing the new religion and, later, making substantial contributions to the establishment of the first Islamic State.

We will attempt in this paper to highlight the role played by the Omanis during the historical period pertaining to the establishment of the Islamic State.

Keywords: Oman, strategic Location, Emergence Of Islam, Islamic religion.

*Professor , Department of History, Faculty of Arts & Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.

مقدمة:

شكل إقليم عُمان على مر العصور التاريخية جزءاً مهماً من منطقة شبه الجزيرة العربية من حيث موقعه الاستراتيجي الذي يشغل على مساحات شاسعة من شواطئ البحار - من رأس مسندم شمالاً حتى حضرموت من أرض اليمن جنوباً - إلى جانب نشاط سكان عُمان وطلوعهم بمهارة عالية في التجارة العالمية من خلال ما اشتهروا به في مجال التجارة البحرية ؛ حيث أتاح لهم هذا النشاط الاقتصادي الاتصال بمعظم الحضارات العالمية التي سادت آنذاك من الصين وجنوب شرق آسيا شرقاً حتى أفريقيا غرباً مروراً بحضارات الهند والسند والفرس وبلاد الرافدين والشام ومصر القديمة وقد أسهم هذا الاتصال الحضاري إسهاماً كبيراً في تعاملهم مع الدعوة الإسلامية بالقبول منذ سماعهم بظهورها في إقليم الحجاز حتى قبولهم اعتناق الإسلام وانتشاره في جميع أنحاء ديارهم دون أن يرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم السرايا والجيوش على عكس معظم مناطق شبه الجزيرة العربية الأخرى. من هنا رأينا أنه من الأهمية بمكان التعرف على تاريخ عُمان في عصر النبوة والوقوف عليه .

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف البحث إلى التعرف على عُمان في عصر الرسول (ص) من حيث أهمية الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي يحتله هذا الإقليم بالنسبة إلى شبه الجزيرة العربية وحضارات الدول المجاورة له ، ومن ثم التعرف على مراحل التطور الحضاري الذي مرَّ به منذ الألف الرابع قبل الميلاد حتى قيام الدولة العربية الإسلامية الأولى بقيادة الرسول، (ص) ، والوقوف على كيفية تعامل العُمانيين مع الدعوة الإسلامية منذ ظهورها حتى أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من كيانها .

منهجية البحث:

عُمان هذا القطر العربي الإسلامي الذي يتمتع بموقع جغرافي متميز في أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية ، ومن خلال كتابات الجغرافيين المسلمين يمكن القول: إن عُمان من الدول القليلة في شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج التي تكاد تتشابه إلى حدٍ بعيد من حيث المساحة والحدود قديماً وحديثاً ، بل إنها كانت في العصور الإسلامية الأولى أكثر اتساعاً مما هي عليه الآن ، فيحدها من الشمال سواحل البحرين ، ومن الشمال الغربي بلاد اليمامة .(1)

أما الجنوب فيطلّ على بحر عُرف باسمها في العصور الوسطى ؛ إذ يقول صاحب الروض المعطار " كانت مياه المحيط المقابلة لعُمان يطلق عليها البحر العُماني ، كما يطلق على البحار المواجهة للهند بحر الهند" (2) . أما جنوبها الغربي فيتصل بحضرموت .(3) وكان إقليم الشحر من توابع عُمان أو جزءاً من أملاكها ، و يعترف الجغرافيون باستقلالية عُمان في تعريفهم بها فهي مستقلة بذاتها عامرة بخيراتها وهي إقليم سلطانيّ مستقلّ في وصف الاضطخري في كتابه المسالك والممالك(4) كان نظام حكمها وراثياً قبيل الإسلام يتوارثه آل الجلندي ويفهم هذا المعنى ممّا ذكره ابن حزم (5) " كانت العرب ملوكاً في بلادهم يتوارثون الملك كابراً عن كابر كملوك اليمن ، ... وجيفرو عباد ابني الجلندي ملكي عُمان " وكانت عاصمتها في القديم مدينة "صُحار" التي أطنب الجغرافيون في وصف مبانيها ومساجدها ، وما كانت عليه من مظاهر الثراء نتيجة للنشاط التجاري المزدهر مع معظم موانئ الخليج والهند وجنوب شرق آسيا(6) هذا الموقع المتميز جعل عُمان في ملتقى التيارات الحضارية ذات الجذور العريقة التي تأثرت بها وأثرت فيها ومما زاد من

قوة هذا التأثير طبيعة عُمان الداخلية والنشاط البحري والتجاري لسكانها ؛ مما جعلها ملتقى لحركة بشرية بالإضافة إلى الثقافات والديانات المتعددة التي عرفت عُمان قبل الإسلام . فعلى أرضها اكتشف علماء الآثار مواقع حضارية أثرية يعود تاريخ قيامها إلى الألف الرابعة قبل الميلاد في مواقع رأس الحمراء شمال غرب مسقط . وقدّر علماء الآثار تاريخ مكتشفات "بات" إلى الألف الثالث قبل الميلاد بينما تم تقدير تاريخ مكتشفات موقع "مخيلف" الأثري إلى الألف الثاني قبل الميلاد . ويعد موقع "صحار" من أهم المواقع الأثرية العُمانية التي تمثل فترة الألف الأول قبل الميلاد . إلى جانب موقع آثار مدينة (خور روري) (سمهرم) . أما فترة ما قبل الإسلام فقد وجدت تحديدات كربونية على الفحم من عرجا أعطت تاريخاً لفترة ما قبل الإسلام .

أما المواقع التي ترجع إلي العصور الإسلامية المبكرة فمنها موقع (البليد) في المنطقة الجنوبية من سلطنة عُمان، وكانت المدينة تسمى قديماً باسم ظفار وقد تأسست في القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري) . من هذا العرض الموجز يتبين لنا أنه كانت توجد في عُمان حضارة نامية متصلة الحلقات غطت أرض عُمان في عصور ما قبل الإسلام .

أما في العصور الإسلامية فقد كان لعُمان حضارة زاهرة لا تقل كثيراً عن مثيلاتها في بلدان الإسلام الأخرى إن لم تفقها في بعض النواحي المتصلة بالتجارة والملاحة حيث كان لعُمان وأهلها فضل السبق والتفوق ، كما برزت أيضاً في مجالات حضارية أخرى في ظل الدولة الإسلامية . وتجدر الإشارة هنا إلى أنه عندما ظهر الإسلام في الحجاز ، عرف طريقه إلى عُمان بمبادرة من أهلها الذين سعوا إلى اعتناقه قبل أن تصلهم دعوة الرسول ، (ص) ؛ للدخول فيه ، وهذا الأمر أعطى أهل عُمان مكانةً مميزةً في عهد الرسول ، (ص)، وعصر الخلفاء الراشدين . شعر العُمانيون خلالها بالاستقلالية في إدارة شؤونهم ، واستمرت هذه الحالة حتى أسندت ولاية العراق والأقاليم الشرقية من الدولة الإسلامية للحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبد الملك بن مروان من العصر الأموي فبدأ الصدام الأول بين السلطة الأموية الحاكمة وبين العُمانيين . والحقيقة التي يجب الاعتراف بها هنا ، أن دراسة تاريخ عُمان في العصر الإسلامي يحتاج إلى قدر كبير من الصبر والمثابرة ، فالوثائق التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها قليلة في بعض الفترات ، وفي بعضها الآخر تصمت المصادر تماماً عن ذكر أي شيء عن تاريخ عُمان، مما دفع بعض المؤرخين المحدثين إلى الادعاء بأن المؤرخين المسلمين قد أهملوا عن عمد تاريخ عُمان في مؤلفاتهم التاريخية⁽⁷⁾ وهذا الزعم في رأينا - بجانبه الصواب؛ فمن البدهيات أن اهتمام المؤرخين القدماء من أصحاب كتب التاريخ العام ، أمثال خليفة بن خياط ، واليعقوبي ، والدينوري ، والطبري ، والمسعودي ومن أخذ عنهم بعد ذلك ، كان يتجه إلى متابعة الأحداث وهي عواصم الخلافة ، سواء كانت في دمشق أو بغداد أو القاهرة أو غيرها من العواصم الإسلامية تتسع دائرة اهتماماتهم بعد ذلك لتسجيل ما يجري من أحداث في الأقاليم الإسلامية المختلفة التي لها علاقة بمركز الأحداث . فقد كثرت المؤلفات المحلية التي تحدثت عن تاريخ بغداد وتاريخ دمشق وتاريخ مصر والقاهرة وتاريخ اليمن والمغرب ولكننا للأسف لا نصادف مثل هذه المؤلفات عن تاريخ عُمان في العصر الإسلامي إلا فيما ندر ولا يمكن تصنيفه بين كتب التاريخ ، بل ينضوي تحت باب الفقه واللغة والأنساب وتأتي الإشارات التاريخية عرضاً ، ويجب ألا نغفل احتمال أن تكون بعض المصادر التاريخية العُمانية قد فقدت بفعل الزمن أو الكوارث .

أما بالنسبة إلى المؤرخين المحليين الحديثين في عُمان فقد انصب اهتمامهم على العلوم الدينية ، ولاشك أن هذه الندرة في المصادر التاريخية تجعل الباحث يعتمد إلى حد بعيد ، على ما أورده المراجع المحلية من إشارات تاريخية تتكرر نصوصها من مصدر إلى آخر غالباً ما تختلف في روايتها مع المصادر العامة ، فكان لا مناص من

التمحيص والمقارنة وتطبيق منهج البحث العلمي التاريخي حتى يمكن إلقاء الضوء على القضايا الرئيسية في تاريخ عُمان في العصر الإسلامي وهذا ما قصدت إليه في هذا البحث، والذي دفعني إلى هذا أنه قد أتيح لي في أثناء فترة إدارتي بجامعة سلطنة عُمان تدريس مقررات تاريخ العرب والإسلام والحضارة الإسلامية إلى جانب تدريس مقررات تتناول تاريخ وحضارة عُمان في العصر الإسلامي مما يسر لي الاطلاع على العديد من المصادر والمراجع التي تتناول هذه الموضوعات ، وقد أثرت بعض القضايا حول حقيقة بعض المعلومات وتاريخ حدوثها، والاختلاف بين المصادر في ذكر وقائعها وأبطالها وقد رأيت أن أضمن صفحات هذا البحث وجهة نظري في بعض هذه القضايا ، وقد حددت لهذه الدراسة الفترة منذ دخول أهل عُمان الإسلام حتى قيام الخلافة الراشدة .

عُمان قبل الإسلام:

كانت عُمان عشية ظهور الإسلام تحت سيطرة آل الجلندي الذين ينتهي نسبهم إلى معولة بن شمس بن الأزور . وكان يحكمها آنذاك جيفر وعبد ابنا الجلندي بن المستكبر . ويبدو أن سكان عُمان آنذاك كانوا من العرب، ومن الفرس وبعض العناصر الأخرى التي حلت في البلاد نتيجة للصلوات التجارية التي تربط عُمان بأقطار أخرى كثيرة تمتد إلى شرق أفريقية وإلى الهند وبعض مناطق الشرق الأقصى. وتبعاً لذلك فقد انتشرت فيها ديانات وعقائد متعددة مثل المجوسية والمسيحية واليهودية والبوذية وغيرها .

وكانت عُمان تمرّ بفترة من الاضطراب الاجتماعي والسياسي نتيجة للنزاعات القبلية والعرقية والدينية ونتيجة للظروف الدولية السائدة في المنطقة آنذاك والتي كانت متأثرة إلى حد بعيد بالنزاع المسلح القائم بين دولتي الروم والفرس ، وخاصة أن منطقة الخليج العربي كانت تقع تحت تأثير النفوذ الفارسي آنذاك .

وفي أوائل القرن السابع الميلادي استطاع الروم بزعامة هرقل أن ينزلوا هزيمة ساحقة بالجيوش الفارسية ، وتقدمت جيوش الروم حتى وصلت أبواب نينوى في أواخر عام /627م/ وخاض الطرفان معركة قاسية أريد فيها الجيش الفارسي ، وهرب كسرى ثم خلع وقتل ، وأجلس على العرش ابنه قباذ الذي عقد اتفاقاً مع الروم تنازل بموجبه عن جميع الأراضي التي احتلها الفرس في السابق مثل أرمينية وسورية ومصر . وعاد إمبراطور الروم بعد ذلك إلى عاصمته مزهواً بالنصر الذي أحرزه . ثم تقدّم إلى القدس وأعاد نصب الصليب الأعظم الذي كان الفرس ، في معارك سابقة ، قد سلبوه وكسب إمبراطور الروم عواطف شعبه ورعيته ، وظهر للعالم المسيحي أنه حامي النصرانية ولا يريد هنا أن نفصل الحديث في النزاع بين الفرس والروم ولكننا نقول :

إنّ نتائج هذا النزاع قد أثرت بشكل واضح على أوضاع العرب في منطقة الخليج العربي على نحو عامّ وفي منطقة عُمان على نحو خاصّ . فقد استغل العرب هذه الفرصة ليتخلصوا من نفوذ الفرس ويحكموا أنفسهم دون رهبة من دولة كبرى طامعة في أملاكهم . وبينما كانوا يقومون بهذه المحاولات إذا بالإسلام يبرز في بلاد الحجاز .

عُمان في عصر النبوة:

تشير المصادر التاريخية وكتب الأنساب إلى أن الإسلام قد عرف طريقه إلى عُمان في وقت مبكر من ظهور الدعوة الإسلامية ، وأن هذا كان عن طريق مبادرات فردية جاءت من أهل عُمان أنفسهم ، فيروى أن أول من أسلم من العُمانيين رجل يدعى (مازن بن غضوبة) من سكان بلدة عُمانية تسمى (سمائل) (8).

ويعرفنا أحد النسابين بـمازن هذا بقوله: ((وله خبر عجيب يخرج في أعلام النبوة من أخبار الكهان)) (9) وحسب ما نجده من وصف الكهان والكهّان عند العرب قبل الإسلام فإن الرواية السابقة توحي بأن مازن بن غضوبة كان من مشاهير بلدته سمائل ومن علمائها وكهّانها المعدودين ؛ لأن الكاهن غالباً ما يكون عفيف النفس يميل إلى العزلة وكثرة التأمل والتفكير الثاقب وربما قويت نفسه فأشرفت به على دراسة الغائبات قبل ورودها كما يصفه المسعودي. (10)

وكان مازن يقوم على خدمة صنم مشهور في بلدته سمائل يسمى (ناجر) كانت تعظمه بنو خطامة وبنو ناجية من طيء. (11) وتختلط الحقيقة بالخيال فيما رواه المؤرخون عن الطريقة التي أسلم بها مازن بن غضوبة ، وعن كيفية معرفته بظهور الإسلام ، فيروي صاحب الروض المعطار الحميري وينقل عنه المؤرخون العُمانيون ، أن مازن كان في خدمة صنم في الجاهلية - كما ذكرنا - فقدّم له يوماً قرباناً فسمع صوتاً خارجاً من الصنم يقول :

يا مازنُ اسمعُ تُسر	ظهرَ خيرٌ وبَطَلُ شُر
بُعِثَ نبيٌّ من مضر	بدينِ اللهِ الأكبر
فدعُ نحيباً من حجر	تسلمُ من حرِّ سقر

ففرح مازن من ذلك ، وبعد عدة أيام قدم للصنم قرباناً آخر ، فخرج من الصنم صوتاً آخر يبشره بالنبي المرسل ، ويأمره بأن يتبعه لينجو بنفسه من نار جهنم . وتستمر الرواية فتذكر أنه في الوقت الذي كان فيه مازن يعاني الحيرة ممّا سمعه من الصنم ، قدم رجل من الحجاز والتقى بـمازن وأخبره بدعوة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وظهر الإسلام هناك. (12)

وإذا نحينا جانباً العنصر القصصي في الرواية السابقة ، وما قيل عن صنم مازن الذي يقرض الشعر ويتحدث إلى سادته ، فإنه يمكن القول بأن (مازن) قد التقى برجل قادم من الحجاز ، وتحدث إليه فأخبره عن الحدث المهم هناك وهو ظهور الرسول ، (ص)، وانتشار الدعوة الإسلامية، ولما كان مازن على قدر من العلم وبممارس الكهانة والسدانة ، فقد أدرك من حديث الحجازي أهمية ما يدعو إليه الرسول ، (ص)، فحزم أمره على الرحيل ليلتقي بصاحب الرسالة، (ص) ، ويبدو أن مازن قد سمع من الرجل ما يشير إلى أن الإسلام يدعو إلى التوحيد وينبذ عبادة الأصنام فبادر بتحطيم الصنم الذي يسدنه ، وشد رحاله إلى الحجاز وهناك التقى بالرسول صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه بين يديه ، وسأل الرسول ، (ص)، أن يدعو له أن يذهب الله عنه ولعه بالطرب وشرب الخمر ، فدعا له الرسول ، (ص)، فاستجاب الله لدعائه وأقلع عن هذه المحرمات. (13)

ومن الغريب أننا لا نجد تاريخاً محدداً لهذه الحادثة التي التقى فيها مازن بالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن يتضح من الرواية العُمانية أن مازن بعد عودته إلى بلدته ، تمكّن من أن يجذب أعداداً من أهل عُمان بوجه عام ومن بلدته سمائل بوجه خاص إلى الدخول في الإسلام.

ولعل ما ساعده على ذلك مكانته الدينية وشهرته بين الناس. (14) ويقال إنّه بنى بسمائل مسجداً سنة (6 هـ/ 627 م) مازال يحمل اسمه حتى الآن. (15) ولو صح هذا التاريخ فإنه يوحى بالتقريب عن تاريخ زيارة مازن بن غضوبة للرسول ، صلى الله عليه وسلم .

وفي رواية لابن سعد يفهم أن أعداداً كبيرة من أهل عُمان قد أسلموا في هذه الفترة مما دعا الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إلى إرسال من يعلمهم شؤون دينهم ويجمع منهم الصدقات ، فتقول الرواية ((أسلم أهل عُمان فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (العلاء بن الحضرمي) ليعلمهم شرائع الإسلام ويصدق أموالهم)).⁽¹⁶⁾ وإذا كان من الشائع في المصادر أن العلاء بن الحضرمي قد أوفده الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إلى البحرين مبعوثاً للمنذر بن ساوى حاكمها في ذي القعدة سنة 8/هـ / 629 م؛⁽¹⁷⁾ أي بعد فتح مكة فإن ذكره كمبعوث إلى عُمان يعطي احتمالاً بأنه قد جاء إليها قبل هذا التاريخ للقيام بالمهمة التي ذكرها ابن سعد وقبل قدوم عمرو بن العاص حاملاً رسالة الرسول، صلى الله عليه وسلم ، إلى عبد وجيفر ملكي عُمان كما سنوضح في الصفحات التالية.

وأرجح أن مهمة العلاء بن الحضرمي كانت محددة في إقليم معين أو جزء من عُمان، ومما يوحي بذلك أن ابن سعد يستطرد في روايته فيقول :

((فخرج وفدهم - يقصد أهل عُمان - إلى رسول الله فيهم أسد بن بيريح الطاحي ⁽¹⁸⁾ فلقوا رسول الله فسألوه أن يبعث معهم رجلاً يقيم أمرهم .. فأرسل معهم مخربة العبدي ⁽¹⁹⁾.... قم قدم بعدهم (سلمة) ومن معه ودعا لهم الرسول أن يجمع كلمتهم على الخير))⁽²⁰⁾ .

ولم يذكر ابن سعد تاريخاً محدداً لهذه الوفود العُمانية التي التقت بالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة ولكن النويري الذي ينقل عنه يذكر لنا أنها قدمت على الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بعد فتح مكة .⁽²¹⁾ وكما سنلاحظ من عرض الأحداث بعد ذلك أن هذه الوفود العُمانية ، ومن بعثه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إلى أهل عُمان مثل العلاء بن الحضرمي ومخربة العبدي كان حدوثها قبل قدوم عمرو بن العاص إلى عُمان .

ومما سبق عرضه يمكن التأكيد على أن انتشار الإسلام في عُمان قد جاء عن طريق حركة أهل عُمان ومبادراتهم بالتوجه إلى المدينة واعتناق الدين الإسلامي عن رغبة واقتناع ، ولكن الدعوة الرسمية للعُمانيين للانضمام تحت راية الإسلام ، جاءت عندما بعث الرسول (ص) بكتاب إلى ملكي عُمان جيفر وعبد ابني الجلندي يدعوها إلى الإسلام وقد أوردت المصادر خبر هذه الرسالة النبوية ، ولكن كثرة الخلاف بين هذه المصادر قد أوقعتنا في حيرة حول تاريخ إرسال هذه الرسالة وشخصية حامل الرسالة والصيغة التي كتبت بها وهل كانت رسالة واحدة أم أكثر ، كل هذه الأمور تحتاج إلى إجابة واضحة ؛ لأن المصادر قد خلطت بينها وكررت روايات متنوعة دون تحديد أو حسم . وأقدم ما وصل إلينا في هذا الموضوع رواية ابن هشام في السيرة حيث يقول: إن الرسول(ص) بعث الرسل إلى الملوك بعد عمرته التي صدَّ عنها يوم الحديبية وذكر أسماء الرسل وأسماء من أرسلوا إليهم ومن بين هؤلاء ((عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعباد ابني الجلندي ملكي عُمان))⁽²²⁾ . وبما أن أحداث الحديبية قد وقعت في ذي القعدة سنة 6/هـ / 627م ، فإنه من المحتمل طبقاً لهذه الرواية أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد بعث عمرو بن العاص إلى عُمان في أوائل سنة 7/هـ / 628م⁽²³⁾ وهنا يثار سؤال مهم، هل كان عمرو بن العاص قد أسلم في هذا التاريخ أو قبله ؟.

وطبقاً لرواية ابن هشام بإسناد عن عمرو بن العاص نفسه أنه أعلن إسلامه في المدينة أمام الرسول ، صلى الله عليه وسلم ((قبل الفتح))⁽²⁴⁾ فهل المقصود هنا فتح مكة ؟ فإذا كان الأمر كذلك فرواية ابن هشام لا تستقيم ، فلا يعقل ان يرسل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عمرو بن العاص مبعوثاً إلى عُمان وهو على شركه ، أم المقصود هنا (الحديبية) التي نزلت فيها سورة الفتح ((إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً))⁽²⁵⁾ وإذا كان الاحتمال الأخير صحيحاً فإن رواية ابن هشام تتسق زمنياً بين إسلام عمرو بن العاص وإرساله إلى عُمان ، ونلاحظ أن المصادر المتأخرة تذكر

رواية ابن هشام فيما يختص بإسلام عمرو بن العاص ، وتحدد تاريخاً لإسلامه عام خيبر سنة 628/هـ⁽²⁶⁾ أو بين الحديبية وخيبر ⁽²⁷⁾ ولكن تعود لتتفي ما سبق لتؤكد أن الأصح هو أن عمرو بن العاص أسلم في صفر سنة 629/هـ⁽²⁸⁾ وهكذا فإن رواية ابن هشام متضاربة ولا يمكن الأخذ بها ، وتأتي في الترتيب الزمني بعد ذلك رواية ابن سعد فيقول : ((.. بعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة 8/هـ / 629م إلى جيفر وعبد ابني الجلندي (...))⁽²⁹⁾ . أما البلاذري ، فيعطينا أكثر من رواية في هذا الموضوع ، ولأهميتها في مناقشة هذه القضية سأوردتها بنصها :

((كان الأغلبية على عُمان الأزدي ، وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي ، فلما كانت سنة 8/هـ / 629م بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبازيد الأنصاري أحد الخزرج وهو (واحد ممّن جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) - واسمه فيما ذكر الكلبي قيس بن مسكن بن زيد بن حرام وقال بعض البصريين اسمه عمرو بن أخطب .. وقال سعيد بن أوس الأنصاري : اسمه ثابت بن زيد وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى عبد وجيفر ابني الجلندي بكتاب منه ، يدعوها فيه إلى الإسلام وقال : أن أجاب القوم إلى شهادة الحق وأطاعوا الله ورسوله فعمرو الأمير وأبو زيد على الصلاة وأخذ الإسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن فلما قدم أبو زيد وعمرو عُمان ، وجدا عبداً وجيفراً بصحار ⁽³⁰⁾ على ساحل البحر فأوصلا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، إليهما ، فأسلما ودعوا العرب هناك إلى الإسلام ، فأجابوا إليه ورغبوا فيه ، فلم يزل عمرو وأبو زيد بعُمان حتى قبض الرسول صلى الله عليه وسلم ويقال إنّ أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك))⁽³¹⁾

ويستطرد البلاذري قائلاً ((و قد قال قوم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وجّه أبا زيد بكتابه إلى عبد وجيفر ابني الجلندي في سنة 6/هـ / 627م ، ووجه عمرأ في سنة 8/هـ / 629م بعد إسلامه بقليل ، وكان إسلامه .. في صفر في سنة 8/هـ / 629م وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي زيد : خذ الصدقة من المسلمين والجزية من المجوس))⁽³²⁾ . ويفهم من روايات البلاذري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث إلى عُمان مبعوثين ، ويذكر أبا زيد الأنصاري ويعرفه بأنه واحدٌ من جمعوا القرآن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الغريب أن البلاذري يزيد من الغموض حول شخصية هذا الصحابي ، فيعطي لنا غير اسمه الذي ذكره ثلاثة أسماء أخرى ، فأبي الأسماء يمكننا الاعتماد عليها في بحثنا عن حقيقته ودوره في عُمان ولاسيما أنه في روايته الثانية يفصل بين دور أبي زيد هذا وبين عمرو بن العاص ، فالأول قد جاء إلى عُمان سنة 6/هـ / 627م والثاني سنة 8/هـ / 629م ومن المهم أن نلاحظ انفراد البلاذري بذكر هذه الرواية التفصيلية عن أبي زيد الأنصاري، فيما عدا إشارة عابرة ذكرها خليفة بن خياط في استعراضه لعمال الرسول، صلى الله عليه وسلم، فقال:

((وبعث عمرو بن العاص إلى عُمان قبض رسول الله وعمرو عليها ، ويقال قد كان بعث أبا زيد الأنصاري إلى عُمان))⁽³³⁾ . مما يرجح أنّ وفود أبي زيد الأنصاري ورحيله عن عُمان كان قبل قدوم عمرو بن العاص ، ويختلف اليعقوبي مع الروايات السالفة في تاريخ إرسال عمرو بن العاص إلى عُمان ، فيروي في أحداث سنة 9/هـ / 630م عن أخبار الرسل الذين أوفدهم الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فيقول ((...وعمر بن العاص إلى جيفر وعباد ابني الجلندي إلى عُمان))⁽³⁴⁾ .

أما الطبري فيذكر ثلاث روايات مختلفة للتواريخ عن بعث الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عمرو بن العاص إلى عُمان : فيروي في أحداث سنة (6هـ) 627م بعد ذكر الحديبية عن رسل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الملوك ، أنه بعث ((عمرو بن العاص إلى جيفر بن الجلندي وعباد بن الجلندي صاحبي عُمان))⁽³⁵⁾.

والرواية الثانية في أحداث سنة (8هـ) 629م حيث قدم عمرو بن العاص على الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة فأعلن إسلامه ، وفي السنة نفسها (بعثه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ((إلى جيفر وعباد ابني الجلندي بعمان ، فصدقنا النبي ، وأقرّا بما جاء به ، وصدق أموالهما وأخذ الجزية من المجوس))⁽³⁶⁾

أما الرواية الثالثة للطبري فتقول : ((كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد بعث عمرو بن العاص إلى جيفر منصوره من حجة الوداع ، أي أوائل سنة 11هـ / 632م فمات رسول الله وعمرو بعمان⁽³⁷⁾ ويتفق المسعودي مع الطبري في روايته الأخيرة فيروى في أحداث سنة 11هـ / 632م وهي سنة وفاة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ،)) فيها كان توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد ابني الجلندي صاحبي عمان يدعوهما إلى الإسلام فأسلما)) :⁽³⁸⁾

هذه أهم وأقدم الروايات التاريخية التي تعرّضت لهذه المعلومة ، ولا يخرج معظم المؤرخين الذين جاؤوا بعد ذلك عمّا سبق عرضه ، ويهمننا من هؤلاء المؤرخين العوتبي الصحاري لأنه أقدم من كتب في هذا الموضوع من أهل عمان توفي في القرن الخامس الهجري) . الذي يذكر في روايته اسم حامل رسالة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إلى أهل عمان عمرو بن العاص فقط ، ولا يذكر أبا زيد الأنصاري، وفي الوقت نفسه لا يحدد تاريخاً لقدم عمرو إلى عمان⁽³⁹⁾ ولكن روايته تهمننا في مناقشة ما يتعلق بالرسالة النبوية لأهل عمان في الصفحات التالية .

وبعد هذا العرض يمكن مناقشة هذه القضية على النحو الآتي : فيما يتعلق بتاريخ بعث الرسول ، صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاص إلى عمان فإنني أرجح الأخذ برواية الطبري الأخيرة التي ذكر فيها أنّ الرسول، صلى الله عليه وسلم، قد بعث عمرو بن العاص إلى عمان منصوره من حجة الوداع⁽⁴⁰⁾ والتي يؤيده فيها المسعودي.⁽⁴¹⁾ وطبقاً لهاتين الروايتين يكون الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد بعث عمرو بن العاص إلى عمان أوائل سنة 11هـ/632م أي قبيل وفاته بعدة أشهر والدليل على ذلك :

أن تاريخ قدوم عمرو بن العاص إلى عمان سنة 6هـ / 627م يعدّ مرفوضاً لإجماع المصادر على أن عمرو بن العاص قد أسلم في صفر سنة 8هـ / 629م⁽⁴²⁾ ومن المستحيل إرساله في هذا التاريخ قبل إسلامه ، أما أشهر التواريخ فهو قدومه إلى عمان في ذي القعدة سنة 8هـ / 629م، ومن الروايات ما يجعل هذا التاريخ مستبعداً .

فرواية الواقدي تشير إلى أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عندما بعث المصدقين ، أي جامعي الصدقات، في هلال المحرم سنة 9هـ / 630م ((بعث عمرو بن العاص إلى مزارة))⁽⁴³⁾ كما تشير رواية أخرى إلى أن عمرو بن العاص كان مشاركاً في غزوة تبوك (رجب - رمضان سنة 9هـ / 630م⁽⁴⁴⁾ . كما أن الرسول (ص)، قد أسند إلى عمرو بن العاص بعد ذلك ، صدقات قبائل سعد وعذرة وجذام ، وأنه عندما أرسله إلى عمان كانت مهمته مؤقتة بالانتهاء من تبليغ رسالة الرسول، صلى الله عليه وسلم ، إلى حاكمي عمان والاطمئنان إلى استقرار الأوضاع بها ثم العودة إلى ما أسند إليه من أعمال، فيروي الطبري: ((وقد كان أبو بكر ردّ عمرو بن العاص على عمالة كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولاها إياه من صدقات سعد هزيم وعذرة ومن لقها من جذام وحدهس، قبل ذهابه إلى عمان، فخرج إلى عمان وهو على عدة من عمله إذا هو رجع، فأنجز له ذلك أبو بكر))⁽⁴⁵⁾ .

مما سبق يتضح أن عمرو بن العاص قد أسندت إليه بعض الأعمال من قبل الرسول ، صلى الله عليه وسلم، وكلها تأتي بعد سنة 8هـ / 629م، ومن المستحيل أن يباشر هذه الأعمال وأن يكون في عمان في نفس الوقت، الأمر الذي يرجح ما ذهبنا إليه من أنه وفد على عمان مبعوثاً من الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في أوائل سنة 11هـ / 632م بعد حجة الوداع .

أما عن شخصية أبي زيد الأنصاري الذي أشار إليه خليفة بن خياط ، إشارة عابرة وذكره البلاذري مشاركاً لعمر بن العاص في حمل الرسالة إلى عُمان ، ولم تذكره بعد ذلك المصادر الأخرى فإني أرجح رواية البلاذري الثانية التي تقول إنَّ أبازيد هذا قد جاء إلى عُمان سنة 6/ هـ / 627م وكان دوره تعليم الناس في عُمان أمور الدين الإسلامي والقرآن .⁽⁴⁶⁾

وفي هذه الحالة فإنَّ أبا زيد لم يكن يحمل رسالة لأنَّ قدومه إلى عُمان قد يكون استجابة لطلب أحد الوفود العُمانية التي سبق أن ذكرناها ، وبالتالي فإنَّ رحيله عن عُمان كما يشير البلاذري وابن خياط كان قبل قدوم عمرو بن العاص إليها حاملاً رسالة الرسول ، صلى الله عليه وسلم،⁽⁴⁷⁾ .

وفيما يتعلَّق برسالة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إلى حاكمي عُمان ، فنلاحظ وجود أكثر من رسالة موجهة إلى عُمان في العصر النبوي الشريف . أهمها الرسالة الرسمية التي بعثها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إلى ملكي عُمان عبد وجيفر وينفرد القلقشندي يذكر نصين لهذه الرسالة : النص الأول أوردته معظم المصادر ، أما النص الثاني فيقله عن كتاب الأموال ويعتبرهما القلقشندي نصين لرسالة واحدة ، ولأهميتهما في بحثنا فسنعرض النصين :

النص الأول : ((من محمّد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وأنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرّا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحلّ بساحتكما ، وتظهر نبوتي في ملككما . وكتب أبي بن كعب))⁽⁴⁸⁾ .

ويستطرد القلقشندي فيقول : ((وفي رواية ذكرها أبو عبيد في كتاب الأموال أنه كتب إليهما : من محمد رسول الله لعباد الله (أسيد ابن ملوك عُمان وأسيد عُمان) - هكذا - من كان منهم بالبحرين ، إنهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا حقّ النبي ، صلى الله عليه وسلّم ، ونسكوا نسك المسلمين فإنهم آمنون وإن لهم ما أسلموا عليه ...))⁽⁴⁹⁾

ونلاحظ تحريفاً واضحاً وقع فيه القلقشندي عند نقله رواية أبي عبيد فالرسالة عنده موجهة ((من محمد رسول الله لعباد الله الأسبديين ملوك عُمان وأسد عُمان))⁽⁵⁰⁾ ونحن لا ندري إن كان هذا التحريف قد حدث عن عمد ، حيث أريد لا أن تكون موجهة إلى ((أسد عُمان)) لنتفق مع الرواية الأولى فنكرت عبارة ((أسيد بن ملوك عُمان)) بدلاً من الأسبديين ، أو كان التحريف عارضاً نتيجة لخطأ في النسخ .

وكيفما كان الأمر فإنَّ أبا عبيد يشرح ما أوردته في هذه الرسالة من عبارة ((عباد الله الأسبديين)) بأنهم سموا بذلك لأنهم نسبوا إلى عبادة فرس ، وهو بالفارسية ((أسب)) فنسبوا إليه ، أما قوله ((لعباد الله)) (يعني بني عبدالله بن دارم)) وهم قوم من الفرس⁽⁵¹⁾ ولكن الجواليقي يصحح بعض المفاهيم التي جاءت عند أبي عبيد القاسم في كتاب الأموال وكذلك عند القلقشندي ، فمن تفسيراته أن أسبذ : اسم قائد من قواد كسرى فارس ، وقد تكلمت به العرب وقيل (عبيد أسبذ) وكان يخاطب بهذا عبد القيس ، كما قيل أن أسبذ قرية بالبحرين ، وكان أصل سكانها من قرية بنفس الاسم في عُمان))⁽⁵²⁾ . ومن المؤكد أن هناك قبائل من أصل واحد منتشرة في البحرين وعُمان من الأزد ، وعبد القيس ، وربيعة وغيرها . فرواية البيهقي توضح ذلك حيث يقول :

((وكان تفرق أهل اليمن في البلاد وخروجهم عن ديارهم بسبب سيل العرم ، فكان أول من صار منهم إلى عُمان مالك بن فهم ... بن الأزد وتزوج مالك بأمرأة من عبد القيس ، ثم لحق بمالك جماعة من بطون الأزد منهم : الربيعة وعمران بنو عمرو بن عدي فلما صاروا بعُمان انتشروا بالبحرين وهجر))⁽⁵³⁾

وهكذا يتضح أن الرسالة الثانية كانت موجهة إلى العناصر الفارسية ومن ينصوي تحت قيادتهم من العرب ، فتشير المصادر إلى أن أساورة الفرس (54) في عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، كانوا منتشرين في مناطق متعدّدة على ساحل الخليج ومنها عُمان، وكانوا يحكمون هذه المناطق باسم الدولة الفارسية كما تذكر هذه الروايات اسم شخصية عُمانية يسمى صاحبها ((أبو شدّاد الزماري العُماني)) الذي يأتي على لسانه أنّه قد وصلت إلى عُمان رقعة من الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مكتوبة على الجلد موجهة إلى الأساورة ولم يجدوا من يقرؤها لهم ، حتى عثروا على فتى استطاع قراءتها واستمعوا إلى فحواها . فلما سئل أبو شدّاد عمّن كان على عُمان قال : أسوار من أساورة كسرى (55) ومن المحتمل أن الرسالة التي يتحدث عنها أبو شدّاد العُماني هي الرسالة الثانية التي أوردتها القلقشندي نقلا عن أبي عبيد ؛ لأنها مكتوبة باللغة العربية وموجهة إلى العناصر الفارسية على سواحل عُمان مما جعل من الصعب عليهم قراءتها كما أشرنا ، حتى جاء فتى يعرف الفارسية والعربية فأسمعهم ترجمتها ، ويؤكد هذا المعنى المؤرخ العُماني العوتبي الصحاري فيقول :

((إنّه عندما صار ملك عُمان إلى آل الجلندي بن المستكبر المعولي ، وصار ملك فارس إلى آل ساسان كانت المهادنة بينهما ، فكان بعُمان طبقاً لشروط هذه المهادنة أربعة آلاف من الأساورة والمرابزة مع عامل يكون للفرس بعُمان، وكانت المهادنة تحدد أماكن تواجد الفرس في السواحل وشواطئ البحر ، وظلّ الفرس على حالهم هذا حتى ظهور الإسلام وانتشاره بعُمان . (56) ممّا جعل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يوجه إليهم رسالة خاصة بهم، لأنهم كيان مستقل له نفوذه وسيطرته على بعض الأراضي العُمانيّة يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام .

ومما يرجح هذا الرأي أن هناك سوابق مماثلة حدثت في البحرين ، فيروي ابن سعد أنّ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد أرسل كتاباً إلى مجوس هجر - وهم الفرس ومن تبعهم - يدعوهم فيها إلى الإسلام فإن أبوا أخذت منهم الجزية (57) وكان في الوقت نفسه قد أرسل رسالة إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين يدعوهم فيها إلى الإسلام. (58) والمعروف أن هجر كمدينة كانت عاصمة البحرين ، وأحياناً كان يطلق على البحرين كلها هجر في ذلك الوقت. (59)

ويبدو أن هؤلاء الأسبديين كانوا منتشرين في البحرين وعُمان كما جاء في نص الرسالة ، وأن بعض هؤلاء قد رحل إلى المدينة لمقابلة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ليعرفوا منه الوضع الخاص بهم في ظل انتشار الإسلام في المنطقة ، فكان قرار الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بشأنهم الدخول في الإسلام أو دفع الجزية (60) كما نصت رسالة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، التي سبقت الإشارة إليها . ومما تقدم نرجح أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد بعث برسالتين إلى عُمان الرسالة الأولى الموجهة إلى عبد وجيفر ابني الجلندي ملكي عُمان وكان يحملها عمرو بن العاص ، أما الرسالة الثانية فكانت موجهة إلى الفرس المقيمين بعُمان باعتبارهم قوة مستقلة لها رئاستها الخاصة يدعوهم أيضاً إلى الدخول في الإسلام ، وإن كنا لا نعلم تاريخ هذه الرسالة أو حاملها .

وكيفما كان الأمر فإنه من المهم بمكان معرفة تأثير رسائل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، على الذين أرسلت لهم ، ومدى استجابتهم لدعوته لهم إلى الدخول في الإسلام .

فالرسالة الأولى كانت موجهة إلى عبد وجيفر ابني الجلندي ملكي عُمان ، وواضح أنه رغم انتشار الإسلام في عُمان وذهاب وفود من القبائل العُمانيّة إلى المدينة تعلن إسلامها إلا أن حاكمي عُمان لم يكونوا قد أسلموا بعد ، ومن المهم تحديد موقفهما من الإسلام لتأثير هذا على عُمان ككلّ وعلى القبائل التي لم تدخل الإسلام حتى ذلك الوقت وأقدم الروايات في هذا الشأن يوردها ابن سعد برواية مسندة لحامل الرسالة عمرو بن العاص ، يفهم منها أن عمرو عندما قدم على عُمان أتيح له في البداية مقابلة عبد بن الجلندي الذي أحسن استقبال عمرو ؛ لذلك يصفه بأنه ((

أحلم الرجلين وأسهلها خلقاً)) ولما عرف عبد المهمة التي جاء لها عمرو أفهمه أنه لا يستطيع أن يتصرف في هذا الأمر لأن أخاه هو المقدم عليه بالسنة والملك ، ووعده بأن يقدمه إلى جيفر حتى يقرأ كتابه ، ويفهم من عبارة لعمره بأنه مكث أياماً ببابه قبل الإذن له بمقابلته ، وأنه أعطى تلميحاً لعبد عن فحوى الرسالة ودعوتهم للدخول في الإسلام وليس تفاصيلها ، وأن هذه الأيام كانت بمثابة مشاورات وتقدير موقف لتحديد الرد المناسب ، ورغم ذلك فالنص يذكر أن عمراً عند لقائه بجيفر سلمه كتاب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مختوماً ففرض خاتمه وقرأه ثم دفعه إلى أخيه فقرأه وطلب جيفر من عمرو بن العاص أن يترك له فرصة يوم ليرد على كتابه (61) فلما التقى عمرو بالأخوين في اليوم التالي كان رد جيفر هو رفض الرسالة وقال لعمره : ((إني فكرت فيما دعوتني إليه ، فإذا أنا أضعف العرب إذا ملكت رجالاً ما في يدي)) (62) .

ولا تذكر المصادر العمانية هذا الرفض ، ولكن تشير إلى أن جيفر قال لعمره أن ما يدعو إليه في هذا الكتاب أمر جسيم ، وأنه سيتدبر الأمر ثم يعلمه ، فعقد مجلساً ضم رؤساء الأزد كما استدعى ((كعب بن برشه)) وكان نصرانياً قد سبق أن التقى بالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة وأعلن إسلامه على يديه وعاد إلى وطنه عُمان (63) وجرت مشاورات وسأل المجتمعون (كعب) عن حقيقة أمر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأقر بنبوته وأنه سيظهر على العرب والعجم ، فاستجاب عبدو جيفر ملكي عُمان إلى الإسلام . (64) وهذا يتسق مع رواية ابن سعد على لسان عمرو ، السابقة حيث يذكر أنه بعد الرفض السابق ذكره ، أعلن عمرو أنه راحل إلى المدينة ، فلما تأكد جيفر من رحيله أرسل إليه ((فاجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً وصدقاً بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، وخلياً بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم)) (65) ووضح أن الفترة الزمنية تلك بين رفض جيفر وإسلامه طبقاً لرواية ابن سعد هي التي ذكرها العوتبي كفترة استشارة وتدبر من جانب جيفر قبل الإقدام على هذه الخطوة الخطيرة وإخضاع ملكه ودولته للإسلام ، ولم يكتف الأخوان بذلك ، بل يروي العوتبي أن جيفر ((بعث إلى وجوه عشائره فيأبئهم لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، وأدخلهم في دينه ، وألزمهم تسليم الصدقة ، وأمر عمرو بن العاص بقبضها ، فقبضها على الجهة التي أمر بها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ثم بعث إلى مهرة والشحر (66) ونواحيها ثم بعث إلى دبا وما يليها إلى آخر عُمان ، فما ورد رسول جيفر إلى أحد إلا وأسلم وأجاب دعوته)) (67)

وهكذا يفهم من المصادر أن عُمان قد أقبلت على الإسلام وأن المناطق الخاضعة لسلطان جيفر قد خضعت لأوامره واستجابت لدعوته من دبا إلى مهرة والشحر ، إلا أن العناصر الفارسية الموجودة على سواحل عُمان طبقاً للمهادنة التي سبق ذكرها والتي أشرنا إلى أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد أرسل إليهم رسالة يدعوهم فيها إلى دخول الإسلام ، هذه العناصر رفضت الاستجابة إلى دعوة جيفر لهم بدخول الإسلام ويبدو أن جيفر قد وجد الفرصة سانحة أمامه ليتخلص من العناصر الفارسية التي تسيطر على أجزاء من سواحل عُمان ، فالتقى جيفر بزعماء الفرس في عُمان وخيّرهم بين أمرين : ((الدخول في الإسلام أو الرحيل عن عُمان (68) ولكن الفرس رفضوا كلا الخيارين ، فكان الصدام العسكري أمراً حتمياً في هذه الظروف إذ صمّ الطرفان على موقفهما ، ويبدو أن جيفر كان مؤيداً من جانب أعداد كثيرة من أهل عُمان ، الذين وجدوا الفرصة سانحة للتخلص من نفوذ الفرس في بلادهم ، فيروي العوتبي ((واجتمعت الأزد إلى جيفر بن الجلندي وقالوا : لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم)) (69) .

وواضح أن الفرس لم يستطيعوا إدراك الروح الجديدة التي دبّت في القبائل العمانية بعد دخولها في الإسلام الذي ألف بينهم تحت راية واحدة وقيادة واحدة ، فاستعد الجانبان للقتال ، ودارت معركة عنيفة بين الأزد والفرس بالقرب من مدينة صحار انهزم فيها الفرس وحوصروا بعد الهزيمة في حصن لهم يسمى (دستجرد) قرب صحار ، وطال حصارهم

وأيقنوا الهزيمة ، فطلبوا الصلح من العُمانيين الذين استجابوا لهم ، ولكن بشروط المنتصر الذي يملئ رغبته فيذعن لها المهزومون وكانت الشروط أن يخرج الفرس من عُمان بأهلهم ومن تبعهم ، وأن يتركوا كل ما يملكون من سلاح وكراع وأموال (70) فأذعن الفرس لهذه الشروط إنفاذاً لأرواح من تبقى منهم بعد أن قتل في المعركة عدد كبير منهم وعلى رأسهم عامل الفرس على عُمان . (71)

وهكذا تمكن العُمانيون باتحادهم تحت راية الإسلام من القضاء على نفوذ الفرس في بلادهم وأصبحت بلادهم خالصة لهم لا يشاركونهم في خيرها عناصر أجنبية ، ويعتقد ج .س . ولكنسن أنه ((كان من أشد ما جذب عرب عُمان إلى الإسلام أنه أتاح لهم أن يتخلصوا من الحكم الفارسي وأن يملكو البلاد بقراها الغنية ، وأن يجنوا ثمرات التجارة البحرية)) (72) وهذه العبارة ربما لا تستقيم بهذا الشكل ، لأنه جعل العُمانيين يدركون مسبقاً نتائج دخولهم في الإسلام ، وجعل من النتيجة سبباً وأصبحت عُمان منذ ذلك الوقت جزءاً من الدولة الإسلامية الناشئة وكانت قيادة الحكم في عُمان في يد الأخوين عبد وجيفر طبقاً لوعده الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لهما في كتابه إليهما حيث قال : ((إنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرّا فإنّ ملككما زائل عنكما)) (73) .

وقد أجمعت مصادر متعددة على أنّ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أثنى على أهل عُمان ومدحهم ؛ لأنهم آمنوا به وبدعوته في الوقت الذي تنكر له ولدعوته بعض أهله وعشيرته وقال بهم من الأقوال ما يُفتخر بها وفي هذا الصدد روى الإمام أحمد بن حنبل عن طريق أبي ليبيد قال : ((خرج منّا رجل يقال له يبرح بن أسد فراه عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فقال من أنت ؟ قال : من أهل عُمان ، فأدخله عمر على أبي بكر ، رضي الله عنه ، فقال : هذا من أهل الأرض التي سمعت رسول الله يقول فيها : إنني لأعلم أرضاً يقال لها عُمان ينضح البحر بناحيتهما ، ولو أتاهم رسولي مارموه بسهم ولا حجر)) (74) .

وروى الإمام مسلم عن أبي برزة الأسلمي قال : ((بعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رجلاً إلى حي من أحياء العرب فسبّوه وضربوه ، فجاء إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : لو أهل عُمان أتيت ماسبوك و لا ضربوك)) (75) كما روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم قوله : ((رحم الله أهل الغبراء - أي أهل عُمان - آمنوا بي ولم يروني)) (76)

وبقي التعاون وثيقاً ومستمراً بين ملكي عُمان وعمرو بن العاص طيلة هذه الفترة وقد أكد ذلك عمرو بن العاص عندما قال : ((... أنه بعد أن دخل الأخوان في الإسلام وصدقا النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خُلّيّا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لي عوناً على من خالفني ، فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم ، فلم أزل مقيماً فيهم حتى بلغنا وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم)) (77) .

الخاتمة:

لقد أسهم استقرار أهل عُمان في الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية في قيام حضارة عربية متصلة الحلقات عبر مراحل التاريخ منذ الألف الرابع قبل الميلاد حتى قيام الحضارة العربية الإسلامية وإن احتكاكهم - بفعل نشاطهم التجاري - مع الحضارات المجاورة لهم أعطاهم بعداً فكرياً وثقافياً فاق ما كان عليه سكان مناطق أخرى متعددة من بلاد شبه الجزيرة العربية في التعامل مع الدعوة الإسلامية منذ ظهورها واعتناقهم الدين الحنيف دون إكراه أو خوض معارك أو شن غزوات كما حصل في مكة والطائف ومناطق أخرى ، فانعكس هذا الأمر عليهم بكثير من الجوانب الإيجابية حيث أصبحوا جزءاً من الدولة الإسلامية الأولى المهيمنة على سائر أرجاء شبه الجزيرة العربية فتقووا بقوتها

وتسلّحوا بإيمانها وتمكّنوا من طرد الفرس من ديارهم وقطفوا بذلك أول ثمرات انضمامهم إلى الدولة القويّة الناشئة ، واستمر ملوكهم يحكمون بلادهم بشكل متوارث تحت راية الإسلام بأمر من الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بدون أي نزاع حتى قيام الدولة الأمويّة .

المراجع:

- 1- ابن خلدون : (عبد الرحمن ت 808 هـ/1406م) المقدمة : تحقيق على عبد الواحد وافي ، القاهرة 1979 ، ج1 ، ص 345
- الحميري: (عبد المنعم السبتي) المتوفى أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت 1984 ، ص82 ، 619.
- 2- الحميري : (900هـ/1494م)، مصدر سابق ، ص 328.
- 3- الحموي : (ياقوت) ، (626هـ/1228م)، معجم البلدان ، بيروت 1955 ، ج4 ، ص 151.
- 4- الأصبخري : (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد) ت 346 هـ/1333م ، المسالك والممالك ليدن 1917 ، ص25- 26 . الحميري : مصدر سابق ص 413.
- 5- ابن حزم : (أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي ت 456 هـ /1064م) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق عبد الرحمن عميرة وآخرون ، جدة 1982 ، ج2 ، ص 224.
- 6- ابن سعيد المغربي : (أبو الحسن علي بن موسى) كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي بيروت 1970 ص 118 . الاصبخري : مصدر سابق ص 25 . ياقوت : مصدر سابق ص 399.
- 7- رجب محمد عبد الحلیم : العُمان يون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام ، مسقط 1989 ، ص 5 وما بعدها.
- 8- الهمداني : (أبو بكر محمد) ، عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب ، القاهرة 1973 ، تحقيق عبد الله كنون ، ص 55.
- 9- المصدر السابق نفسه ، ص55
- 10- المسعودي : (علي بن الحسين بن علي ت 346 هـ/957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1958 ، ج2 / 175
- 11- الحميري: مصدر سابق ص 326 ، السالمي (نور الدين عبد الله بن حميد ت 1332 هـ/20م) تحفة الأعيان بمسيرة أهل عُمان ، مطبعة القلعة بمصر بدون تاريخ ، ص36.
- 12- الحميري: مصدر سابق ، ص 326 - 327 . السالمي : مرجع سابق ، ص 36 - 37.
- 13- الهمداني : مصدر سابق ، ص 55
- 14- ابن رزيق : (حميد من محمد) ، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان ، نشر وزارة التراث العُماني 1978 ، ص 6
- 15- البطاش : (سيف بن حمود بن حامد) إرشاد السائل إلى معرفة الأوائل ، سلطنة عُمان 1988 ، ص 134 - 135

- 16- ابن سعد : (أبو عبد الله محمد الزهري ت230 هـ/844م) ، الطبقات الكبرى ، القاهرة ، ج1 قسم 2 ص8
- 17- المصدر السابق ، ص 19 . قارن ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤوف ، القاهرة 1978 ، ج188/4
- 18- الطاحي : نسبة إلى طاحية بن مسعود بن الحجر بن عمران بن عامر ماء السماء بطن من الأزد. الهمداني : مصدر سابق ، ص 84
- 19- يسمية خليفة بن خياط (مخرفة العبدي) وكان من بين الوفد الذي قدم إلى الرسول "صلى الله عليه وسلم" في المدينة من قبيلة عبد القيس يعلنون إسلامهم وكان للعثمانيين أباد بيضاء لدى مخربة فأراد أن يرد لهم الجميل ، فطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسله إلى عُمان ليقوم بالمهمة المطلوبة فاستجاب له الرسول صلى الله عليه وسلم .
- 20- ابن خياط : (خليفة ت240 هـ/854م) تاريخ خليفة بن خياط بغداد 1967 ، ص 145.
- 21- النويري : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت 732 هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب الهيئة المصرية للكتاب ، ج18/114-115 .
- 22- ابن هشام : السيرة مصدر سابق ج4 /187-188.
- 23- يذكر ابن سعد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث الرسل بكتبه إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، وذلك بعد عودته من الحديبية وتحرك ستة نفر منهم في المحرم سنة 7 هـ ، ولم يذكر من بينهم عمرو بن العاص .
- ابن سعد : الطبقات ، ج15/1.
- 24- ابن هشام : مصدر سابق ، ج3 / 173-174.
- 25- سورة الفتح : 48 : 1
- 26- ابن الأثير : (علي بن محمد بن عبد الكريم ت 630 هـ/1232م) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، القاهرة 1970 ، ج4 /245.
- 27- ابن حجر : (شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني ت 852 هـ/1449م) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، القاهرة 1328 هـ ج2/3 .
- 28- ابن الأثير : مصدر سابق ، ص 245.
- 29- ابن سعد : مصدر سابق ، ج18/1.
- 30- كانت صحار عاصمة عُمان في ذلك الوقت . اليعقوبي : التاريخ ، بيروت بدون تاريخ ج2/270.
- المسعودي : (ت 346 هـ/957م)التنبيه والإشراف ، بيروت 1981، ص 260.
- 31- البلاذري: (أحمد بن يحيى بن جابر ت279هـ/892م) ' فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد القاهرة 1956 ج1/92 وينقل عن قدامه بن جعفر (ت329هـ) في كتابه الخراج وصناعة الكتابة طبعة العراق، 1981، ص 276.
- 32- البلاذري : مصدر سابق ج1 /62
- 33- خليفة بن خياط : مصدر سابق ج1 ، ص 62.
- 34- اليعقوبي : (أحمد بن أبي يعقوب ت 792 هـ/1390م) تاريخ اليعقوبي ، ج2 /78
- 35- الطبري : (محمد بن جرير ت 310 هـ/922م) تاريخ الرسل والملوك، ط. دار المعارف بمصر ، ج2 /645

- 36- المصدر السابق نفسه ، ج 3 / 29
- 37- المصدر السابق نفسه ، ج 3 / 258
- 38- المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص 256.
- 39- العوتبي : (سلمة بن مسلم الصحاري) ، الانساب ، عُمان 1984 ، ج / 260.
- 40- الطبري : مصدر سابق ج 3 / 258.
- 41- المسعودي : مصدر سابق 256.
- 42- الواقدي : (محمد بن عمر بن واقد ت 207 هـ / 822م) المغازي، تحقيق مارسدن جونس، اكسفورد 1965، ج 2/ 661 . الطبري : مصدر سابق ج 3 / 29.
- 43- الواقدي: المغازي ، ج 3 / 973.
- 44- المصدر السابق نفسه ، ص 1056.
- 45- الطبري : مصدر سابق ج 3 / 389.
- 46- أبو عبيد القاسم بن سلام : كتاب الأموال ، ص 26. الحميري : مصدر سابق ، ص 413.
- 47- خليفة بن خياط : ج 1 / 62 ، البلاذري : الفتوح ، ص 92- 93.
- 48- العوتبي : مرجع سابق الأنساب ج 2/ 260 . القلقشندي : (أبو العباس أحمد بن علي ت 821هـ/ 1418م)، صبح الأعشى ، ج 6 / 380.
- 49- القلقشندي : مصدر سابق ج 6 / 380.
- 50- ينظر النص الأصلي للرسالة في كتاب الأموال ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ص 26.
- 51- أبي عبيد القاسم : مصدر سابق ص 27.
- 52- الجواليقي : المعرب ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة 1969، ص 86-87.
- 53- اليعقوبي : التاريخ ، ج 2 / 203- 204.
- 54- القاضي أظهر مباركيوي: العرب والهند في عهد الرسالة ، القاهرة ، 1973م، ص 71-72
- 55- المرجع السابق نفسه ، ص 76.
- 56- العوتبي : مصدر سابق ، الانساب ، ص 258-259 .
- 57- ابن سعد : الطبقات ، ج 1 / 19 . البلاذري : فتوح البلدان ، ج 1 / 95 .
- 58- أبو عبيد القاسم : الأموال ، ص 26.
- 59- صفى الدين البغدادي : مرصد الاطلاع ، تحقيق على محمد البجاري ، بيروت 1954م، ج 3 / 1452.
- 60- الجواليقي : مصدر سابق ص 88
- 61- ابن سعد : مصدر سابق ج 1 / 18.
- 62- المصدر السابق نفسه ص 18.
- 63- العوتبي : الأنساب ، ج 2 / 259- 260.
- 64- ابن سعد : المصدر السابق نفسه .
- 65- ابن سعد : مصدر سابق . ص 18
- 66- يذكر الصطخري : أن بلاد مهرة قصبتها الشحر ويقال إنها من عُمان الأقاليم ، بغداد بدون تاريخ، ص 14.

- 67- العوثبي : المصدر السابق نفسه ، ص 61. قارن : قدامة بن جعفر ، كتاب الخراج ص 276.
- 68- السالمي : مصدر سابق ، ص40
- 69- المصدر السابق نفسه ، العوثبي : مصدر سابق ، ص 261.
- 70- السالمي : تحفة الأعيان ، ص 40- 41.
- 71- العوثبي : مصدر سابق ، ص 265.
- 72- ج.س ولكنسن : بنو الجلندي في عُمان ، طبع وزارة التراث في عُمان ، 1982، ص 12.
- 73- القلقشندي : مصدر سابق ، ج6 / 380.
- 74- مسند الإمام أحمد : 1 : 44 ، 2 : 3
- 75- رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أهل عُمان .
- 76- عُمان في التاريخ ، نشر وزارة الإعلام بسلطنة عُمان 1995 ، ص 118.
- 77- ابن سعد : الطبقات ، ج1 / 18.